

مفهوم الأدب الهامشي (من الأدب المركزي المؤسسي إلى الهامشي)

تمهيد:

إن العلاقة بين المركز والهامش هي علاقة متوترة، فالمركز يتعارض مع الهامش لأنه يدعي القوة والنقاء، أما الهامش فغالبا يحتل المرتبة الثانية بعد المركز، لأنه ضعيف وهجين ودوي. أما إذا تعلق الأمر بالأدب، فالأدب المركزي هو الأدب الرسمي الذي تباركه السلطة. أما أدب الهامش فهو أدب معارض للسلطة. وهذا ما يجعله أقل فنية إذا ما قورن بالأدب الرسمي المركزي.

• أولا: ثنائية المركز والهامش:

برزت ثنائية المركز والهامش في الخطاب ما بعد الكولونيالي، حيث "اعتمد التأسيس المتدرج للإمبراطورية على العلاقة الهرمية الثابتة بوجود المستعمر بوصفه الآخر بالنسبة للثقافة المستعمرة وهكذا فوجود فكرة الممجي كان ممكنا فقط إذا كان هناك وجود لمفهوم المتحضر ليعارضها". فالمركز في الخطاب ما بعد الكولونيالي هو العالم الأوروبي المتحضر في مقابل الشعوب المستعمرة التي وصفت بالهامشية والدونية.

يضيف حسن حنفي أن المركز "ينسج لنفسه صورا نقيضة مثل العقلانية والإنسانية والتقدم والعلم، في مقابل الحضارات الأخرى التي لم تعرف إلا السحر والخرافة والإلهام والنبوات والإلهيات والخلود". فالمركز الغربي الذي يمتلك القوة والسلطة وصف نفسه بالتقدم والعقلانية، ووصف الحضارات الأخرى بالسحر والخرافة، محاولا إشاعة مقولاته الخاصة عن العالم الشرقي الذي وصف بالسلبية.

• ثانيا: تعريف الأدب المركزي:

بالعودة إلى ثنائية المركز والهامش، يمكن القول أن أدب البلدان الكبرى هو الأدب المركزي، وأدب البلدان الصغرى هو أدب الهامش. أما على مستوى الدولة الواحدة، فإن الأدب المركزي هو أدب السلطة، بمعنى "أدب البلاط، وأدب يشتغل بحياة الترف التي يميهاها الخاصة من الساسة ورجال الدين أحيانا". أي أن أدب المركز هو أدب النخبة. وهو أدب رسمي يكتب لإرضاء السلطة.

• ثالثا: تعريف أدب الهامش:

من تسمياته الأدب الموازي، الأدب المكافئ أو المعادل، أدب الرفض، الأدب السوقي... وغيرها من التسميات التي تحمل معنى الدونية والنبذ والإقصاء. يُعرّف الأدب الهامشي بأنه "كل أدب ينتج خارج المؤسسة، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أكاديمية". بمعنى أن أدب الهامش هو كل أدب يعارض الأدب المركزي، وينزاح عن المعايير الفنية المتعارف عليها داخل المؤسسة الأدبية. وهو أدب مقصي من دائرة الاهتمام في أوساط النخبة.

• رابعا: أنواع أدب الهامش:

1- الأدب الشعبي: ينتمي الأدب الشعبي إلى أدب الهامش لأنه يعبر عن الطبقة الشعبية المهمشة داخل المجتمع، ويقابل الأدب الشعبي الرسمي الذي يكتب داخل المؤسسة، وتباركه السلطة.

2- أدب الطفل: يدرج أدب الطفل في الدرجة الثانية عند تصنيف أنواع الأدب. لذا يمكن اعتباره أدبا هامشيا.

- 3- الرواية الوردية: وهي رواية ذات التوجه عاطفي. وهذا النوع الأدبي لا يحترم قواعد الكتابة الروائية المتعارف عليها، لذلك يصنف في خانة الأدب الهامشي.
- 4- الرواية البوليسية: صنف ضمن الأدب غير الجاد، واستقطبت شريحة واسعة من القراء، هي الطبقة الجماهيرية.
- 5- رواية الخيال العلمي: وهي رواية تقوم على الافتراضات العلمية، وتمزج بين العلوم والأدب.

المراجع:

- سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي.
- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب؛ قراءة سوسيو-ثقافية.